مطارحات في العقيدة (١)

سماحة العلامة السيد كمال الحيدري

الحلقة الأولى: المنهج الصحيح في فهم المعارف الدينية

قبــل أن أدخل هذا البحث: المنهج الصحيح في فهم المعــارف الدينية، وبيانه، وما هو ســبب الاختلاف بين المدارس في الساحة الإسلامية، مادام مصدر التشريع

ومصدر الفهم العقائدي لدى المسلمين هو كتاب الله وسنة رسول الله، بودّي أن أوضح المنهج أو الأسلوب الذي أعتقد صحتــه، وأتمنــى أن يســود مناظراتنا وحواراتنا وبحوثنا.

يتألف المنهج الــذي أدعو إليه من محاور ثلاثة، أذكرها بإيجاز على أمل أن يأتي تفصيلها خلال البحوث:

الأول:

أن المناظــرة والحوار تارة تكون بين المتخصصين، فلها شرائطها وأحكامها وآدابها؛ وأخــرى تكون حوارات عامة يريد أن يســتفيد منها عمــوم الناس، سواء كانوا من المتخصصين أو من غير المتخصصين، وهذه أيضاً تراعى آدابها وأحكامهــا؛ وإن الطريقة الفضلى في الحالتين، التي أدعو إليها أن نبحث في الموضوعات التي تهم جميع المسلمين . . أطرح اطروحتي العلمية في هذا المجال، وفي المقابــل فليطــرح الآخر اطروحته العلميــة، وعلى جميع من يشــاهد أو يســمع أو يقــرأ أن يتمســك بقوله تعالى:

﴿الَّذِيـنَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَـنَهُ﴾[1] إما هذا الاتجــاه وإما ذاك الاتجاه.

الثاني: تحديد الهدف

لكــي نبعد الحــوار والبحث عن العبثيــة، وتتحقق منافعــه، لا بد من بيان الغــرض أو الهدف المترتب على مثل هذه الحوارات؛ لأنّه لا إشكال ولا شــبهة في أن أي عمل يقوم به إنسان عاقل وحكيم، لابد أن يكون هناك غاية عقلائية وهــدف عقلائي يترتب على ذلك العمل، وإلا لكان العمل جزافياً، وعمــلاً عبثياً؛ ونلخص ما نهدف إليه في أحاديثنا بالتالي:

ـ ما هو دور العترة الطاهرة عليهم السلام في فهم المعارف الدينية؟

ـ ما هــو دور الصحابــة من غير العترة في فهم المعارف الدينية؟

ـ ما هو المنهــج الصحيح في فهم المعارف الدينية؟

نكتفي بهذه الخلاصــة للأهداف،

وسيأتينا بيانها.

الثالث:

هو الالتزام بالأسلوب القرآني في إجراء الحوار، فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عندما يجري حواراً مع الآخر، أي آخر كان، سواء أكان متفقاً معه في الدين أو غير متفق معه في الدين، كان أسلوبه ما ذكره القرآن الكريم:

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[٢]

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.[٣]

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.[٤]

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾.[٥]

هذا هو المنطق القرآني، أن يتكلم مع أي كان بمنطق اللين والحكمة.. ومن المعلوم أن من أوضح مصاديق الفضاضة؛ الفضاضة في اللسان، في المخاطبة والتخاطب ونحو ذلك.

لقد كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يدعو الناس إلى القرآن وإلى الإسلام بمنهج وأسلوب قرآنيٍّ، فالقرآن الكريم له أطروحة كاملة في هذا المجال، بيّن الأسلوب الذي ينبغي أن يتخذ بأي حوار علمي، علماً بأن ذلك الحوار لم يكن بين طرفين مُسلمَين، وإنما كان بين طرف مسلم وطرف مشرك أو كافر، لا توجد مشتركات بينه وبين الطرف الآخر، فكيف ونحن توجد بيننا مشتركات كثيرة، نقاط اتفاق كثيرة، وحتى تتضح أطروحة القرآن هذه التي ندعو إلى التمسك بها عند الحوارات والمناظرات فيما بيننا، نقف عند آيتين:

الآية الأولى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.[٦]

بطبيعة الحال نحن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام نعتقد أنّ سبيل الرب هو مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وفي الطرف الآخر هو مدرسة الصحابة ومدرسة الخلفاء، وأرجح عبارة الصحابة على عبارة الخلفاء؛

لأنّ تعبير الخلفاء عام، وهم لا يقولون بأنهم تابعون لكل الخلفاء، وإنما تابعون للصحابة، ولذا تعبير مدرسة الخلفاء تعبير عام، والتعبير الدقيق هو مدرسة الصحابة في قبال مدرسة العترة أو مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وأيضاً لا أوافق على تعبير أهل السنّة والجماعة، باعتبار أننا جميعاً أهل السنّة والجماعة، فنحن ندعو أيضاً إلى السنّة النبوية، ونؤكد على دور السنّة في فهم المعارف الدينية، لعل هناك من يقول: لا دور للسنّة، حسبنا كتاب الله، فيما نحن نؤكد على دور السنّة النبوية في فهم الدين، وفي تأصيل الدين، وفي تأسيس المعارف الدينية وفي فهمها، إذن نحن أهل السنّة بهذا المعنى.

فلسنا من الذين يقولون ضع البخاري على جانب، و ضع أصول الكافي على جانب، تكلم معي في القرآن؛ فالذي يذهب إلى هذا المذهب ليس هو إذن من أهل السنّة أبداً، أهل السنّة من يرى أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسنته مع القرآن الكريم جنباً إلى جنب لا يفترقان.

فالآية المباركة وهي قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أشارت إلى الأسلوب الذي ينبغي اتباعه للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وللدعوة إلى الحق، القرآن يعطينا ـ سواء كنا أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أوأتباع مدرسة الصحابة ـ الأسلوب والطريق الذي لابدّ من اتباعه؛ انظروا بشكل دقيق قال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فما هو المراد من الحكمة؟ ما هو المراد من الموعظة؟ في الواقع أنا لا أريد أن أقف عند تفسير الآية المباركة، بل أريد فقط أن أشير إلى نكات منها كما في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وأنا أتصور الإنسان عندما ينظر إلى بعض هذه الفضائيات أيجد حكمة وموعظة؟ من الواضح أنه لا هو حكمة ولا هو موعظة، وإنما هو جدل وجدال بين طرفين وبين شخصين،

وليس جدالاً كما يصفه القرآن الكريم: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، بل كله اتهام وتكفير وتسفيه وسب وشتم وطعن . . أهذا هو منطق القرآن الذي دعتنا الآية المذكورة إليه؟ أين هذا من منطق القرآن؟! فالقرآن لم يقل: ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ فقط، وإنما قال: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فالجدال على أنحاء ثلاثة:

النحو الأول: الجدال مطلقاً حتى ولو كان بنحو الهتك والسب والشتم إلى غير ذلك، وهذا نحو من الجدال، وهو ما نجده في الأعم الأغلب على الفضائيات.

النحو الثاني: الجدال بالتي هي حسن.

والنحو الثالث: الجدال بالتي هي أحسن، القرآن يدعو إلى أن يكون الجدال بالنحو الثالث، ولا يوافق على النحو الثاني فضلاً عن النحو الأول.

إذن كيف يمكن أن نقول: نحن من أتباع القرآن، وأسلوبنا ذاك الأسلوب الذي نجده؟ وأربأ بنفسي أن أذكر الكلمات والاتهامات التي تقال في مثل هذه الفضائيات.

الآية الثانية:

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وهي من الآيات المهمة في هذا المجال، فالآيات التي قبلها: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأرض وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ إذن لَهُ حَتَّى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أو إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أو فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[٧]

فحديث الرسول صلى الله عليه وآله مع الكفار مع المشركين: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هؤلاء كان لهم شرك صريح وواضح وجليّ، ومع هذا تجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما يتكلم معهم لا يقول أنا على الحق وأنتم على الضلال،

لايتكلم بهذا المنطق. وأنا أستغرب أن بعض من ينسب نفسه إلى أهل العلم يقول: بأن مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأنّ الشيعة مذهب مدخول على الإسلام؛ أهذا منطق القرآن؟! أهذا هو الأسلوب الذي علمنا القرآن؟! القرآن الكريم يعلم رسوله أن لا يتكلم مع من هم على الشرك الجلي والشرك الصراح والواضح، بلغة أنه على الحق، ولا ريب في هذا، وأنهم على الباطل والشرك والكفر. كان يتكلم معهم بلغة: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ ...﴾ يعني لعلّي أنا على الحق وأنت على الباطل، ولعل الأمر يكون بالعكس، أنظروا السيد الطباطبائي قدس سره في ذيل هذه الآية المباركة من تفسيره القيّم الميزان، يقول: «تتمة قول النبي صلى الله عليه وآله وهذا القول بعد إلقاء الحجة القاطعة ووضوح الحق في مسألة الألوهية، مبني على سلوك طريق الإنصاف، ومفاده أنّ كل قول إما هدى أو ضلال لا ثالث لهما نفياً وإثباتاً، ونحن وأنتم على قولين مختلفين لا يجتمعان، فإما أن نكون نحن على هدى وأنتم في ضلال، وإما أن تكونوا أنتم على هدى ونحن في ضلال، فانظروا بعين الإنصاف إلى ما ألقي إليكم من الحجة، وميزوا المهدي من الضال، والمحق من المبطل...».

يعني بعد أن ألقيت عليهم الحجة وتمت عليهم، ليس قبل ذلك، قل مع ذلك لعلي على هدى وأنتم على ضلال أو يكون الأمر بالعكس، ليس قبل إلقاء الحجة، وأنا لا أتصور أنّ أحداً من المتكلمين في هذه الفضائيات يستطيع أن يقول: إنه ألقيت الحجة عليه كاملة ونحن لم نقبل. ليس الأمر كذلك، ومع هذا كثرت اتهاماتهم بأن هؤلاء كذا وأن هؤلاء مجوس، وأن هؤلاء أصولهم فارسية، وأن هؤلاء أصولهم يهودية . . من أين جاءنا هذا المنهج؟ ليس هو منهج القرآن، وليس هو منهج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليس هو رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليس هو أسلوب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أسلوبه هذا

الذي أشار إليه القرآن الكريم. إما أنا على الحق ومـــا يقابلني على ضلال أو بالعكس، وماذا بعد الحق إلا الضلال، والحق واحد من ربه لا يمكن أن يتعدد، وهو غير معقول.

وكل هدفنا أن نذكر حجتنا، ونذكر دليلنـــا، ونذكـــر ما نعتقـــده، فإن تمت الحجـــة واقتنع بها الطرف المقابل فبها ونعمت، وإن لم يقتنع فهو حر، من شاء فليقبل ومن شاء فليرفض..

طبعاً أنا هنا بودي أن أشير إلى نكتة في غاية الأهمية في الآية المباركة، قالت: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ إذا نظرنا إلى الجملة الأولى، هذا الاحتمال قائم أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يكون على الهدى ومقابله يكون على الضلال، أو يكون الأمر معكوســاً. ولكن الجملة الثانية بينت وبشكل لطيف غير مؤذ، لايوجد فيه إهانة للطـــرف الآخر، لا يوجد فيه توجيـــه أنك على باطل، قالت: ﴿لَعَلَى

هُـدًى أَوْ فِـى ضَـلَالٍ﴾ على نحو اللفّ والنشـر المرتب كما ذكروا يعني «وإنا» مرتبطة بلعلى هدى، «أو إياكم» مرتبطة بالضلال المبين.

إذن الآية بشكل دقيق، وبأدب رفيع، وببيان بليـغ، أوصلت لنا أنّ النبيﷺ هو علـى الهدى والآخر على الضلال، ولكن بهذا الأسلوب، وبهذا المنطق.

والآية لم تقل: وإنا وإياكم. لتساويا في النتيجـة . . إذن لا يقـول لنا قائل: إنّ الرسـول الأعظمﷺ كان يشـك في نفسـه أنه على الحق، والآخر على الباطل حتى يقول هذا الكلام، لا، كان علـى بينة من ربه أنه على الهدى، وأنّ الآخـر على ضلال، ولكـن لا يجابهه بذلـك؛ لأنّه لو جابهه مباشـرة وقال: أنت علـى ضلال وآباؤك على ضلال، وأنت على سـفه وآباؤك على سفه . . فسـيوجد بهذا جداراً بينه وبين الآخر لا يمكن اختراقه..

لا أقـول كل هذا فقط لمدرسـتنا ولأتبـاع مدرسـتنا وللمبلغـين منـا وللخطبـاء ولأهل المنبر وللفضائيات، بـل لأتباع الطرف الآخـر، أقول لهم: إذا أردتم أن تنفـذوا إلى قلوب الناس، فبدلوا هذا الأسـلوب فهـو لا ينفع، بل أسـلوبكم هذا يوجـد جداراً من البغضاء والشـحناء والفتنة والتفتيت ونحو ذلك، فالأسـلوب الذي اعتمده القرآن الكريم اعتمدوه، فهو أسلوب اللين كما جاء بقولـه تعالى حين يأمر موسى وهارون أن يذهبا إلى من ادعى الربوبية: ﴿أَنَـا رَبُّكُـمُ الْأَعْلَى﴾،﴿فَقُولَا لَـهُ قَـوْلًا لَيِّنًـا﴾. وهو منطـق القرآن ومنطق النبوة ومنطق الرسالة والمنطق الصحيح، فيما المنطـق الفرعوني هو الاستكبار والتعالي.

وقوله تعالى لرسول اللهﷺ : ﴿وَلَوْ كُنْـتَ فَظًّا غَلِيـظَ الْقَلْـبِ لَانْفَضُّـوا مِـنْ حَوْلِكَ﴾.

ومن أوضـح مصاديق الفظّ هو أنّ الإنسـان يتهم الآخر، يسـقط الآخر، يهين الآخر، يتجاوز على من يعتقد به الآخر، هذا ليس صحيحاً، وليس منطق

القرآن الكريم القائل:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾.[٨] وهذا قانون إلهي، هذا منطق قرآني، لا ينبغي التجاوز على معتقدات الآخرين، على أفكار الآخرين، نعم جادلهم بالتي هي أحسن. أتمنى أن يسود المنطق القرآني في المواقع الالكترونية، وفي الحوارات العلمية، وفيما يُكتب، وفيما يُقرأ . .

هذا ونحن عندما نأتي إلى أهل الجنة نجد بأنهم: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾؛ وخطابهم الحاكم بينهم: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ إنه خطاب السلام، خطاب الأمن . . ولكن عندما نأتي إلى منطق أهل النار وخطاب أهل النار بعضهم مع بعض: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ خطابهم اللعن.

إذا كنا نعتقد أننا نعيش مجتمعاً إلهياً، فلابد أن يكون خطابنا خطاباً قرآنياً: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾؛ فإذا وجدتم أنّ الخطاب تبدل من: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ إلى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾. فقد تحول منطقنا من منطق إلهي إلى منطق شيطاني، من منطق أهل الجنة إلى منطق أهل النار.

فالفضائيات إذا كان المنطق والخطاب الحاكم عليها هو منطق: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ اطمئنوا، هذا هو المنطق القرآني، وهذا هو منطق أهل الجنة، وهذا هو منطق أهل الإيمان، وهذا هو منطق المسلمين، ومنطق المسلم والمؤمن، ونحن الآن نسلّم على الجميع من نعرفه ومن لا نعرفه؛ ولذا نجد بأن السلام شعار المسلم أينما دخل وأينما حلّ وأينما ارتحل، فإذا نظرتم إلى الفضائية والقائلين والمتحدثين فيها وكان منطقهم: ﴿سَلَاماً سَلَاماً﴾ فمنطقهم منطق الوئام، منطق المودة والمحبة والسلام، منطق كشف الحقيقة، هذا هو المنطق القرآني والأصل القرآني. أما إذا وجدتم أنّ منطقهم منطق الاتهام ومنطق التكفير من أي كان، من هذا الطرف أو من ذاك الطرف، وإن سمي نفسه عالماً، أو سمي نفسه من أهل العلم، أو سمي نفسه

أحد الأعلام، يبقى كما وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وآخر قد تسمى عالماً وليس به، أخذ جهائل من جهال...»؛ فهو منطق الفرقة والتشتيت وتمزيق الأمة.[9]

وللإمام سلام الله عليه خطبة مفصلة، يبين خصوصيات هذا الإنسان، ويوضح فيها كيف تميّز أنّ هذا الإنسان عالم حقيقي أو أنه متلبس بالعلم، عالم حقيقي أو إنسان جاهل ظاهره العلم، فإذا كان ينقلك من الشك إلى اليقين فهو عالم، أما إذا كان ينقلك من اليقين إلى الشك فهو جاهل.

ولهذا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في آخر تلك الخطبة يقول: «فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه؛ وذلك ميت الأحياء».[10]

هذا الإنسان ميت من حيث الانسانية، وإن كان حيّاً من حيث الحيوانية والبهيمية والسبُعية.

أقول: هذا الكلام عام حتى لنفسي أوجهه، ينبغي أن يكون منطقنا أسلوبنا خطابنا خطاباً قائماً على أساس الإيمان والمودة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

ولا يقول لنا قائل بأنّ المراد من الإيمان هنا يعني أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أنا لا أقبل لا أوافق على هذا، نعم في بعض الروايات أطلق الإيمان على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والا فالقرآن يطلق الإيمان حتى على أتباع الشرائع السابقة، هم مؤمنون أيضاً، إذن الإيمان له درجات وهؤلاء كلهم والمؤمنون جميعاً يشتركون في مسألة الايمان.

كما أنّ سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين علياً (عليه أفضل الصلاة والسلام) يقول: «... إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق..» فيوسع الدائرة، فيجعل هذا المنطق منطق الحوار الحسن، منطق الحجة، منطق: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ﴾، منطق: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾، منطق: ﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا...﴾ ، ليس مختصاً بمن هم إخوان لنا في الدين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ بل يكون هذا المنطق حتى مع من لم يشاركنا في الدين، الإمام علي عليه السلام يدعو إلى أن هذا المنهج، و إلى هذا المنطق أن يسود مع الذين هم شركاؤنا في الإنسانية.

المصدران الأساسيان:

اتفقت الأمة الإسلامية وأجمعت على أنّ المصدرين الأساسيين في تلقي المعارف الدينية وأخذها وفهمها، هما:

ـ القرآن الكريم.

ـ السنة النبويّة.

وقد جاءت الآيات، لتؤكد هذا المعنى وتبيّنه بشكل واضح وصريح، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[11]

﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب موجه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

إذن السنة النبوية تبين القرآن الكريم.

وأنا لا أتصور أنه يوجد خلاف بين أحد من المسلمين في هذين المصدرين، وهو أنّ الإنسان إذا أراد أن يقف على الحقائق الدينية والمعارف الدينية على سعة دائرتها فيما يتعلق بالعقائد والفروع والأحكام، فيما يتعلق بالأخلاق والعلاقات، فيما يتعلق بالعوالم والنشئات، التي قبل هذه النشأة و بعدها من عالم البرزخ إلى عالم الحشر الأكبر، فالجنة والنار، وإلى الخلود، وعشرات بل مئات بل آلاف المسائل سواء كان ما يرتبط منها بالأصول العقدية والأركان الإيمانية، أو ما يتعلق بالأمور العملية والأبحاث التي ترتبط بالبعد العملي لا بالبعد الإيماني والعقدي والكلامي. فعليه الرجوع إلى هذين المصدرين: القرآن

الكريم والسنة النبوية.

ثم قالت الآية: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

فما هو دور الفكر؟ وما هو دور التفكير؟ وما هو دور التدبر؟ وما هو دور التعقل؟ وما هو دور العقل والاستدلالات العقلية؟ أبحاث عديدة لا أريد الدخول في تفاصيلها.

والقدر المتيقن من المصدر الأول وهو القرآن الكريم أنه جاء تبياناً: ﴿وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾.[١٢] ولكن هذا التبيان فيه مبيّن، والمبيّن هو الرسول الأعظمﷺ: ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

وهنا لابد أن يعلم أنّ كلمة علماء المسلمين بمختلف اتجاهاتهم الفقهية والكلامية وغيرها، اتفقت على أنّ ما جاء من الرسول الأعظمﷺ إنما هو من الوحي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[١٣] وأمرنا القرآن الكريم بذلك فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.[١٤]

أنا لا أتصور أنه توجد آية أوضح دلالة من هذه الآية المباركة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ﴾ أي كل الإتيان سواء أكان إتياناً قولياً أم فعلياً، تقريرياً، موضوعياً، حكمياً، فالإتيان يكون شاملاً لكل هذه الأبعاد. وهذا دليل واضح أنّ الله سبحانه أمرنا أن نأخذ بكل ما آتانا الرسولﷺ وننتهي عن كل ما نهانا عنه.

إذن نحن أمام مصدرين أساسيين هما الكتاب والسنة النبوية، وهو أمر متفق عليه من حيث الواقع ومن حيث الاصطلاح ومن حيث الثبوت. وما دام الأمر كذلك، لماذا وقع الاختلاف بين المسلمين في هذين المصدرين؟ وما هو منشأ هذا الاختلاف؟ وما هي فلسفته؟ وما هو دليله؟

نحن لا نريد الآن أن نتكلم في النوايا أنه كانت هناك مؤامرة أو لم تكن، كان هناك من يبيّت أن يدمر هذا الدين أو لم يكن، كان هناك من يريد أن يقضي على المعارف ...، هذه

أبحاث أخرى لست الآن بصدد إثباتها ولا بصدد نفيها، فلها حديث آخر.

أنا أريد أن أبحث من الناحية المعرفية، من الناحية النظرية، لماذا وقع هذا الاختلاف بين المسلمين وحتى يومنا هذا؟

وأنتم تعلمون بأنه في مثل هذه الأيام المدارس الإسلامية، الاتجاهات، المذاهب، البيانات، الأدلة تجدونها واقعاً مختلفة على مسافة ١٨٠ درجة من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال.

في الواقع أن سبب هذا الاختلاف في أخذ المعارف من القرآن والسنة يعود إلى المرجعية التي اعتمدها المسلمون في فهم الكتاب والسنة:

من أي طريق نأخذ السنة؟

وعلى أي فهم نعرف كتاب الله سبحانه وتعالى؟

فكتاب الله بأيدينا، هذا الكتاب الذي نزل على قلب الخاتم صلى الله عليه وآله لم يُزد فيه شيء، ولم يُنقص منه شيء، وهو ما أكّده علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأعلى أصواتهم أن هذا القرآن هو الذي نزل على قلب الخاتم صلى الله عليه وآله لم يقع فيه تحريف، ولم تقع فيه زيادة، ولم يقع فيه نقصان ونحو ذلك، وكتبُ علمائنا بحمد الله مليئة بذلك. خلافاً لبعض الدعاوى التي تصدر من هنا وهناك، من هذه الجهة، من هذه المدرسة أو تلك، بأن علماءنا يقولون بتحريف القرآن! كلمات مع الأسف الشديد تُكرر بهذه الطريقة الفجّة، التي لا تنم عن أي أساس علمي صحيح؛ وبعض القنوات الفضائية تحاول أن تشوش على كثير من الأبحاث العلمية من خلال هذه الدعاوى.

نعم، قد يقول قائل: إنّ بعض علمائنا قالوا بالتحريف؛ وأنا أقول: هذا ليس فقط في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بل موجود في المدارس والاتجاهات الأخرى، إن لم يكن أكثر مما عندنا فليس هو أقل مما عندنا، ولا يمكن أن نحمل المدرسة ونحمل الاتجاه بشكل عام المسؤولية بسبب كلام يصدر من

شخص أو شخصين أو عشرة يقولون بهذا الرأي أو بذاك الرأي.

وبكلام صريح: لقد اتفقت كلمة علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام على أنّ هذا القرآن لا زيادة فيه ولا نقصان، إلا من شذ منهم، وهذا الشذوذ ليس فقط في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو موجود في مدرسة الصحابة، والآن ليس حديثي عن تحريف القرآن، فقط أريد

أن أشير إلى ما جاء في كتابي (أصول التفسير والتأويل) هناك في صفحة (٤٩٥) ذكرت عدداً من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين آمنوا بأن القرآن لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف بالمعنى الذي هو التحريف، إنّ هذا القرآن الذي نزل على قلب الخاتم هو هذا القرآن الذي بأيدينا، وهو القرآن الذي سيظهر على يد المهدي (عليه أفضل الصلاة والسلام)؛ نعم إذا كان هناك اختلاف، فهذا الاختلاف مرتبط بشأن نزول الآيات بترتيب السور أو بعض الآيات، وإلا لا يزاد فيه، لا آية، ولا سورة، ولا غير ذلك،

انظروا ماذا يقول الشيخ الصدوق الذي هو من علمائنا الكبار: «اعتقادنا أنّ القرآن الــذي أنزله الله تعالى على نبيه محمدﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب كاذب كاذب».

ونفــس هــذا الكلام للشــريف المرتضــى المتوفى (٤٣٦هـ) و للشــيخ الطوســي وهو من كبار علمائنا قال: «وأمــا الــكلام في زيادتــه ونقصانه فممــا لا يليق به، فالظاهــر أيضاً من مذهب المســلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا»، و كذا الشــيخ الطبرســي صاحب التفسير، والشيخ كاشــف الغطاء، والفيض الكاشاني، والســيد الشــريف الرضي، والشيخ المفيد، وقطب الدين الراوندي، وابن شهر آشوب المازندراني ،وابن إدريس، وهكذا إلى أن ننتهي إلى السيد الخوئي، والشيخ عبدالحســين الأميني صاحب الغديــر، والســيد الطباطبائي، وكل علماء الطائفة على مرّ التاريخ.

ولكن الفضائيــات تريد أن تنقل بعض الكلمات الشاذة وتنسبها إلينا؛ هذه التهــم لا أصل لها، لا أتهم أحداً، ولكــن أحملهــا على الغفلــة، وعلى الجهل، وعدم الاطــلاع، وعدم المعرفة بمدرسة أهل البيتعليهم السلام.

ثم إنّ ما ورد في أصول الكافي ليس كله صحيحاً يمكن الاعتماد عليه، ففيه الصحيــح وفيه غير الصحيــح، وفيه الرواية المجهولة أو ضعيفة السند، كما هو الحال في تراث الآخرين في مصادرهم البخاري ومسلم.. هذه القضية ليست مختصــة بمدرســة أهل البيتعليهم السلام، بل روايــات التحريف موجــودة في جميع المدارس الأخرى.

وأما ما يتعلق الأمر بمصحف فاطمة، فالمصحــف ليس اسماً مختصــاً بالقرآن الكريــم، أي كتاب آخر تســتطيع أن تسميه صحفاً ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾.[١٥] لا علاقة لها، صحيفة الأعمال، صحيفة الكذا إلى آخره، ليس مصحف فاطمة

مرتبطاً بالقــرآن الكريم لا من قريب ولا مــن بعيد، إذن لا يوجد فيه شــيء يرتبط.

مرجعية المدرستين:

إذن فســبب الاختــلاف في أخــذ المعارف من القرآن والســنة يعود إلى المرجعيــة، ـ كما قلنــا ـ التي اعتمدها المســلمون في فهم الكتاب والســنة؛ ففي اعتقــادي، بعد ذهاب الرســول الأعظمﷺ إلى بارئه، وجدت مدرستان في فهم القرآن الكريم، وفهم الســنة الصادرة من النبي الأكرمﷺ :

ـ المدرسة الأولى: مدرسة الصحابة، وعندما أقول الصحابــة، مرادي علية القــوم، كبــار الصحابــة، وأسماؤهم معروفة ولا أحتاج إلى ذكرها.

ـ المدرسة الأخرى: مدرسة عليعليه السلام وأهل البيت من بعدهعليهم السلام.

و عندمــا نقول علــيعليه السلام لا يتبادر إلى ذهن أحد أننا نريد أن نجعل الإمام عليــاًعليه السلام في قبال الصحابــة، فالإمام عليعليه السلام صحابي مــن الصحابة، هذا مما لا ريب فيــه، وإنما أريد أن أقول إذا أردنا أن نميز بين مدرســتين: مدرســة حاولت أن تستند إلى بعض الصحابة في قبال مدرسة الإمام علي عليه أفضل الصلاة والســلام. وإن قال أحد منهم: نحن أيضاً نقبل الإمام علياًعليه السلام.

نعــم؛ هم يقبلون الإمــام علياًعليه السلام واحــداً منهــم، وقد يرجحــون عليه غــيره، بــل في الأعم الأغلــب يكون هذا، فإذا وقــع الاختلاف بينه وبينهم يرجحون الغير عليــه، ويصرحون بأنّ الأول والثاني والثالث، هم أفضل من عليعليه السلام، بل أنّ الأول والثاني والثالث هم أعلــم من الإمام علــيعليه السلام. وهنا المفارقة، وهنا التمييز، وهنا الفصل بين المدرستين.

مدرسة أهل البيتعليهم السلام هي مدرسة الإمام عليعليه السلام، نعتقد أنها هي المدرسة الــتي لها كلمة الفصــل في كيفية فهم القرآن الكريم، وأخذ السنة الصحيحة الواردة عــن الرســول الأعظمﷺ ؛

وهذه هي القضية الأساسية، في قبال اتجاه آخر يعتقد أنّ السنة تؤخذ من الصحابة، والصحابة هم الذين إذا فسروا القرآن الكريم، وفهموا آية من الآيات، فإنّ فهمهم يكون حجة على من جاء بعدهم من الناس، من الأمة الإسلامية، و العلماء، فإذا جئنا إلى فهم الصحابة وجئنا إلى فهم التابعين وتابعي التابعين، أو مَن جاء بعدهم من العلماء ووقع التعارض بينهم، يجعلون الحجية لقول الصحابة. وهذا ما يصرحون به. وهنا أشير بنحو الإجمال إلى أقوال تتعلق بهذا المجال:

ـ يقول الشاطبي في الموافقات: «سنة الصحابة سنة يعمل عليها ويرجع إليها والدليل على ذلك أمور».[١٦]

إذن يعطون المرجعية للصحابة، ليس كل الصحابة، وهذا واضح، العنوان وإن كان عاماً ولكن المقصود به الخواص، هم نفر معدود من الصحابة، وإلا يقيناً لا يريدون١٢ ألف صحابي، أو٢٠ ألفاً، أو ٣٠ ألف صحابي، أو ١٠٠ ألف صحابي، ليس هذا مقصودهم، وإنما المقصود مجموعة وثلة وخواص ونخبة من الصحابة، وبالأخص الذين تولوا أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الأول والثاني والثالث، كل همهم إثبات المرجعية والأفضلية والأعلمية لهؤلاء في قبال علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام .

قال الشاطبي: والدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم.، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

والثاني: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سننهم في طلب الاتباع كسنة النبي صلى الله عليه وآله وهذا حديث ينقلونه في صحاحهم، « . . . فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ . . ». وقوله صلى الله عليه وآله: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**». وعنه أنه قال: «**أصحابي مثل الملح لا يصلح الطعام**

إلا بـــه». وعنـــه أيضـــاً: «**إنّ الله اختار أصحابي علـــى جميع العالمين ســـوى النبيين والمرســـلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكـــر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خـــير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير**». **ويروى في بعض الأخبار: «أصحابـــي كالنجوم بأيهـــم اقتديتم اهتديتم**».[١٧]

وهناك عشـــرات النصـــوص التي وردت في المصـــادر الحديثيـــة للقوم في مدرسة الصحابة، التي تعطي المرجعية للصحابة، وعلى أقـــل التقادير تجعل علياًعليه السلام واحداً منهـــم، أو متأخراً عن كثير منهم؛ هذا الكلام يمكن مراجعته في الموافقات للشاطبي.

ـ يقول الغزالي في المستصفى: «ذهب قـــوم إلى أنّ مذهـــب الصحابي حجة مطلقـــاً، يعني كل مـــا يقوله الصحابي فقوله حجة يعتمد عليه، ســـواء استند فيه إلى النبيصلى الله عليه وآله أو لم يســـتند، باعتبار أنهم جميعاً عدول فلا يقولون شيئاً من عند أنفسهم وإنما يقولون ما أخذوه من رسول اللهصلى الله عليه وآله ».

وذهب قـــوم إلى أنّ الحجة في قول الأول والثانـــي خاصة: «اقتدوا بالذين من بعدي، أو اللذين من بعدي».

وذهب قـــوم إلى أنّ الحجة في قول الخلفاء الراشـــدين إذا اتفقوا، أما إذا اختلفوا فليس بحجة.

هذا هـــو الاتجاه الأول، الاتجاه الذي يعتقد أنّ الطريق لفهم الكتاب ولأخذ السنة يمر من قناة الصحابة. ولهذا أنتم تجدون عندما تراجعون صحاح القوم، عندما تراجعون مســـانيد القوم، عندما تراجعون المصادر الأساســـية الحديثية للقـــوم تجدون أنها ٩٩٪ من الروايات منقولة عن الصحابة، وأنهم يستندون إليها في فهم القرآن، وفي أخذ الحديث من رسول اللهصلى الله عليه وآله.

والغزالي عنـــده كلام جيد هنا، أنا فقط أشير إليه إجمالاً ومناقشته موقوفة إلى موضوع مذهب الصحابي وســـنة الصحابي، وإلى أي حدّ يمكن الاعتماد على هذا المذهب، وعلى هذه الســـنة،

وعلى هذه المدرسة، أمر متروك إلى دراسات أعمق، ولكن بنحو الإجمال أذكر ما يقوله الغزالي في المستصفى: «فإن من يجوز عليه الغلط والسهو ـ باعتبار أنهم يقولون إنه لا يوجد معصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ولم تثبت عصمته عنه، فلا حجة في قوله ـ فكيف يمكن إثبات الحجية إن لم تثبت له العصمة ـ فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة»؟

ومن هذا يتبين أنّ القائلين بسنة الصحابي صحيح لم يقولوا بعصمة الصحابة، ولكن عملاً التزموا بعصمتهم؛ لأنهم قالوا: إنّ قولهم حجة ولا تجوز مخالفتهم، بأيهم اقتديتم اهتديتم. فهذا الإنسان إذا لم يكن معصوماً، فكيف إذا اقتديت به اهتديت؟ فقد يكون مشتبهاً، فكيف أكون مهتدياً إذا اقتديت به؟ يعني إذا لم يكن معصوماً، وأنا اقتديت به وهو كان في ضلال، وإن لم يكن عمداً كنت على ضلال، ولكن مع ذلك هم يقولون بأيهم اقتديتم اهتديتم، هذا يكشف بأنه من الناحية العملية، وإن كان من الناحية النظرية لم يصرحوا بهذا المعنى، ولكنهم عملاً التزموا بعصمة الصحابة، ولذا تجد أنّ الغزالي كاملاً التفت، وأنتم تعلمون أنّ الغزالي علم من أعلام مدرسة الصحابة.

قال: «وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة؟ وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف، وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة؟ فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه، فانتفاء الدليل على العصمة، ووقوع الاختلاف بينهم، وتصريحهم بجواز مخالفتهم فيه، ثلاثة أدلة قاطعة».[18]

إذا كانوا معصومين، فكيف وقع الاختلاف بينهم؟ وهم قَبِلوا أن يخالف

بعضهم بعضاً... ولهذا تجدون أنّ الإمام أمير المؤمنين علياً عليه أفضل الصلاة والسلام عندما وضع في الشورى قيل له: أن تعمل بالكتاب والسنة وسيرة الشيخين. فقال عليه السلام: «أعمل برأيي»؛ يعني لم يقبل بالعمل بسيرة الشيخين؛ ولو كان بأيهم اقتديتم اهتديتم، كان الأولى أن يقتدي بهم أمير المؤمنين عليه السلام، أن يقتدي بهم علي عليه السلام وهو أعرف بحالهم، فلهذا في جملة واحدة، قال الغزالي: «فانتفاء الدليل على العصمة، ووقوع الاختلاف بينهم، وتصريحهم بجواز مخالفتهم فيه ثلاثة أدلة قاطعة على عدم الحجة».

ثم إنّ الذين قتلوا الخليفة الثالث هم الصحابة أنفسهم فهل نقتدي بهم؟

وفي الصحابة منافقون، وفي الصحابة من في قلبه مرض، وفي الصحابة من هم فاسقون، عبدالله بن أُبيّ، ألم يكن من الصحابة؟ ألم ينه رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتله؟ قال: إذن يتحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه.[19]

ألم يرد في صحيح البخاري على أنه هناك مجموعة من أصحابي يذادون عن الحوض إلى النار، أقول لماذا؟ يقول: لا تعلم ماذا أحدثوا بعدك، فإنهم ارتدوا القهقرى، هذه روايات صريحة في مصادر القوم. فأين العصمة؟ فأين الحجية فضلاً عن العصمة؟

مدرسة الصحابة تعتقد أنّ المرجعية لها في فهم القرآن الكريم وأخذ السنة النبوية. ويمرّ ذلك من خلال الصحابة بشكل عام، إلا أنّ مرادهم نخبة من الصحابة، وأعطوا المرجعية والحجية لأقوالهم مطلقاً بنحو لا تجوز مخالفتهم بأي نحو من الأنحاء؛ ولذا الآن أنت عندما ترجع إلى الاتجاهات السلفية الحديثة تجد أنهم يحاولون إرجاع كل شيء يقولونه إلى صحابي من الصحابة، وهذا هو معنى السلف، وهذا هو منهج السلفية سواء الحديثة أو القديمة منها، كلها تحاول عندما تقول شيئاً ترجعه إلى صحابي، ليس بالضرورة أن ترجعه إلى

حديث ورد عن رسول الله من صحابي، بل تقولون إن الصحابة لم يفعلوا كذا، فعل الصحابة كذا، عملهم كان كذا، سلوكهم كان كذا، وهذا معناه إعطاء المرجعية الفتوائية، إعطاء المرجعية القولية إلى الصحابة بشكل عام.

وفي قبال هذه المدرسة توجد مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يعني مدرسة الإمام علي عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد ذلك امتدادات هذه المدرسة الحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد إلى باقي الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام. إذن منشأ الاختلاف الأصلي يمرّ من هذه النقطة.

وأنا بودي أن أوجه من هنا خطابي وندائي إلى جميع الأخوة المتداخلين في الفضائيات، والذين يتكلمون في المسائل العقائدية بشكل خاص والمعارف الدينية بشكل عام، ما لم يحل في الرتبة السابقة هذا النزاع، لا يمكننا أن ننتهي إلى نتيجة؛ لأنهم يستعينون بطريق للوصول إلى فهم القرآن الكريم، ولأخذ السنة من النبي صلى الله عليه وآله، ونحن نستعين بطريق آخر وبمرجعية أخرى لفهم القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولذا عندما نأتي إلى المصادر الحديثية الأساسية عند مدرسة الصحابة، لا نجد من رواياتنا شيئاً هناك، وعندما تأتي إلى مصادرنا الحديثية لا تجد من روايتهم شيئاً عندنا، مع نقاط قوة موجودة عندنا سأشير إليها بعد ذلك.

القرآن فقط!

من هنا يحاول البعض أن يغالط ويقول: أنتم ما دمتم لا تقبلون أحاديثنا، ونحن لا نقبل أحاديثكم، إذن فلنتكلم في القرآن، لأنه متفق عليه.

الجواب:

لا يمكن أن يكون هذا المنهج صحيحاً، وإلا لو كان هذا المنهج يصح إذن لَمَ قال الله لرسوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ ؟ ولقال لهم: ليفهموا، وهذا

يكشف عن أنّ السنة ركن أساسي لفهم المعارف الدينية، ولا يمكن فهم المعارف الدينية من غير دور سنة النبي الأكرمﷺ . وإلا للزم ذلك أنّ النبي الأكرمﷺ كان كناقل بريد، نقل إلينا رسالة وانتهى دوره، مع أنّ صريح القرآن الكريم يبين دورهﷺ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.[٢٠] ومن هنا أمرنا الحق سبحانه وتعالى فقال: : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.[٢١] فإن لم تكن هناك بيانات

من الرسول الأعظمﷺ لماذا ما آتاكم الرسول؟ إذن يظهر أن هناك بيانات صدرت من الرسول الأعظمﷺ والقرآن يوجب الأخذ بها، إذن دعوى أن نضع السنة بكلا شقيها إلى جانب، يعني السنة الموجودة عندهم والسنة الموجودة عندنا، ثم نرجع إلى القرآن، هذا معناه حذف الركن الثاني الأساسي

في فهم المعارف.

صحيح أنّ هذه المقولة اشتهرت (حسبنا كتاب الله) ولكن واقعاً

لم يعملوا بهـا، فقد أسسـوا منظومة حديثيـة كاملة، وإلا ماذا تقول أنت في صحيح مسلم وفي صحيح البخاري وفي المسانيد وفي المراجع والمصادر الحديثية الأخرى؟ هذه كلها أسسـت، إذا كان حسبنا كتاب الله، فمن أين جاءت هذه الروايـات؟ إذن من هنا نكتشـف أنه لا يمكن فهم المعـارف الدينية إلا من خلال هذين الركنين: القرآن والسـنة النبويـة الصادرة مـن النبيﷺ؛ نعم، الاختلاف في الطريق الموصل إلى فهم القرآن وإلى السنة النبوية.

لماذا حذف السنة؟

أولاً:

هنـاك نقطة أساسـية وهي أنه في مصادرهم الحديثية كثـير من الحقائق الدينية، التي تدعم نظرية مدرسة أهل البيتعليهم السلام فهم بحذف السـنة يريدون أن يسـقطوا هذا عن الاعتبار حتى لا نسـتدل به، لماذا يحاولون بما أوتوا من جهد أن يسقطوا كتاب الكافي، وأن لا يدخلوا كتاب البخاري على الخط؟

لأنـه إذا أردنـا أن ندخـل كتاب البخاري على الخـط يكون من فمك أدينـك، بعضهم يقول: أنتم لا تقبلون كتاب البخاري . .

نحـن لا نقول: إننـا لا نقبل كتاب البخاري مطلقـاً، بل نقول: إنّ الكثير مما في البخاري يمكن أن نسـتدل عليه قرآنيـاً، وعندنـا روايـات تؤكد هذا المعنـى، نحن لا نقبل مـن البخاري ما انفرد به البخاري؛ نسـتدل به لأنه من باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسـهم، لأن القاعـدة العقلائيـة والقاعـدة العقلية والقاعـدة المنطقية أنت تقبل أنّ صحيح البخـاري حجة عليك، لا علاقة لك في بـاب المناظرة أني أقبل أو لا أقبـل، كما أننـا نحن عندما نأتي إلى اليهـود والنصارى نحتـج عليهم بالإنجيل والتـوراة، والقرآن أيضاً فعل ذلك: ﴿..قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا..﴾.[٢٢] فهـل هذا معناه أنّ القرآن والرسـول الأعظمﷺ كان يعتقـد بكل ما ورد

في التوراة؟ لا، ليس الأمر كذلك، وإنما يريد أن يحتج عليهم بما آمنوا به؛ إذن عندما نستدل بما جاء به البخاري، فإنه من باب من فمك أدينك، وألزموهم بما ألزموا به أنفسهم، وهذه قاعدة تامة صحيحة في محلها.

إذن من هنا ينبغي في المناظرات التي نحن نجدها الآن في بعض الفضائيات، ويحاول أن يدخل إليها بعض من لاخبرة له في فنّ المناظرة والأبحاث، أن يلتفت إلى أنّ كل همهم إسقاط السنة؛ لأنهم يعرفون أنه إذا سقطت السنة نحن لا نستطيع أن نحتج بالقرآن وحده، لأنه حمال ذو أوجه.

ثانياً:

بإسقاط السنة إسقاط للركن الأساسي الثاني في المعارف الدينية وفي فهم الدين. والسنة النبوية ليس دورها دوراً هامشياً، و دورها: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ كيف تريد أن تعزل هذا الدور الأساسي للسنة النبوية؟

ونحن عندما نريد أن ندخل في أي بحث، ينبغي أن نميز جيداً بين حالتين:

الحالة الأولى:

حين يقع الكلام مع أناس يعتقدون بمدرسة أهل البيت عليهم السلام وبمرجعية أهل البيت عليهم السلام، وأنهم هم الطريق لفهم القرآن ولأخذ السنة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أستطيع أن أستدل لهم بما ورد في كتاب الكافي ضمن الشرائط التي ذكرت في محلها، وإلا ليس كل ما ورد في أصول الكافي هو مقبول عندنا.

الحالة الثانية:

حين أدخل في مناظرة مع طرف آخر لا يقبل مرجعية أهل البيت عليهم السلام، فلا بد ـ وحتى يكون البحث بحثاً علمياً مدروساً ـ أن تُحدد المرجعية، التي نعود إليها في الحوار، وهي القرآن الكريم أولاً، والسنة الصحيحة المتفق عليها ثانياً، لا إسقاط جميع السنة.

فالصحيح إذا كان البحث بحث مناظرة علمية، أن نستند إلى ما اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين، وبحمد الله توجد روايات كثيرة اتفقت عليها

كلمة علماء المسلمين، لا أن نسقط السنة عن الاعتبار، هذا المنهج الذي حاوله البعض عندما قال: حسبنا كتاب الله.

حذاري من هذه المغالطة التي يحاول بعض من لا خبرة له الدعوة إليها، وإن كانوا يتلبسون بلباس العلم، ولكن واقعهم بتعبير الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة يقول: «**وآخر قد يُسمى عالماً وليس به، قد اقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس شركاً من حبائل غرور وقول زور**».[٢٣]

ظاهره عالم ولكن واقعه الجهل، وآخر قد يسمي نفسه العالم، والحمدلله الآن الفضائيات كالزرع يومياً تخرج لنا ما تسميهم العلماء والأكابر، وأنهم أعلام وأنهم محققون وأنهم مفكرون وأنهم ...، وهم جهائل من جهال، مجموعة من الجهالات التي يشوشون بها على هؤلاء وعلى هؤلاء وبلغات مبطنة. فالحذر من هؤلاء ومما يدعون إليه من إسقاط السنة.

فحتى ينقح المنهج العلمي والمرجعية في الفهم، علينا أن نلتزم بأنّ القرآن والسنة النبوية توأمان لا يفترقان، ولا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر، لايمكن أن يلغى دور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في فهم معارف الدين.

فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو ركن المعارف القرآنية وهذا نص القرآن: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ إذن كيف يمكنني أن ألغي دور السنة وأدخل إلى القرآن دون السنة أو بعيداً عن السنة النبوية؟

فإذا قبلنا هذا الأصل الموضوعي الأول، ننتقل إلى الأصل الثاني المتمثل بالنصوص النبوية الصحيحة المجمع والمتفق عليها بين الفريقين، حتى يكون عندنا هناك نقطة انطلاق وإلزام لكلا الطرفين. وهذه الأحاديث هي نقطة قوة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، فإن كثيراً من معتقدات مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكثيراً من المباني والأحاديث التي تستند إليها مدرسة أهل البيت عليهم السلام

هي موجودة في كتب ومراجع ومصادر صحاح مدرسة الصحابة، إن لم يكن أكثر من مصادرنا الحديثية فليس أقل من ذلك.

دعوى تكفير الصحابة:

وهذه دعوى يحاول بعض بها أن يوجد بيننا وبين المسلمين جداراً عندما يتهم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنهم يكفرون الصحابة! لا، ليس الأمر كذلك، نحن نجل الصحابة ونحترم الصحابة، أولئك الذين جاهدوا وقاتلوا وقتلوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله هؤلاء لايقاس بهم أحد؛ نحن حديثنا مع بعض الصحابة، وذلك بعد ذهاب الرسول الأعظم إلى بارئه، حديثنا مع المنقلبين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ...﴾.[٢٤] لا مع الصحابة في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

إن شاء الله يأتينا الحديث عن الصحابة، وخصوصاً عند الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.[٢٥] و هي من أهم الآيات، التي يستشهدون بها على عدالة الصحابة أو مرجعية الصحابة.

إنّ المفصل الذي يفصل مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن مدرسة الصحابة، هو أنّ أهل البيت عليهم السلام يشرحون المعارف الدينية، ولهم حق تفسير النص القرآني، وهم الوسائط في وصول السنّة النبوية. أو أنّ هناك طريقاً آخر أيضاً يمكن الاعتماد عليه في ذلك.

إذن البحث ينحصر في هذه القضية، وهذا ما سنتوفر عليه إن شاء الله تعالى بعد الانتهاء من هذه المقدمات.

الغرض:

الغرض الأساس الحقيقي من وراء طرح هذه الأبحاث هو انكشاف حقيقة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أن يعرفها الآخر سواء آمن بها، اعتقد بها، صدّق بها، قبل بها أو لم يقبل. ليس همي أنّ الطرف الآخر عندما أعرض

دليلي، أعرض مباني، أعرض مدرستي، أعرض الأصول والأركان التي اعتقدها في هـذه المدرسـة، أنّ الطـرف الآخر يسلّم بها. ولكن المهم أن يعرفني على حقيقتي. يعرف أنّ هذه المدرسة لا تقول بتحريف القرآن الكريم، وأنه تهمة لا أصل لها في مدرسـة أهل البيت عليهم السلام، وإن استدلوا بأنّ هناك في هذه المدرسة من يقـول بالتحريـف، فمثله موجود في المـدارس الأخرى ومنها مدرسـة الصحابة كما ذكرنا.

إذن نحن نعرض ما عندنا من قواعد وما نعتقده من اعتقادات والآخر أيضاً يعرض ما عنده. هذا هو المنهج الحواري الذي اقترحه والأطروحة الحوارية التي أتبناهـا كما ذكـرت، نتكلم بما عندنا، يتكلمون بما عندهم في موضوع واحد أو في موضوعات متعددة، نحن نعرض ما عندنا من برهان ومن دليل، وليعرضوا ما عندهم من برهان ومن دليل، ويترك الأمر للمتابع والقارئ.

ـ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَـكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.[٢٦]

ـ ﴿قُـلْ هَاتُـوا بُرْهَانَكُـمْ إِنْ كُنْتُـمْ صَادِقِينَ﴾.[٢٧]

وحديثي يتجه مـع جملة من أعلام المسـلمين الذين يعبر عنهم بأنه مثلاً شـيخ الإسـلام، بأنه حجة الإسلام، إلى آخـر هذه التعبـيرات. حديثي مع أولئـك الذيـن لهـم مصنفاتهم لهم كتبهم لهم اتجاهاتهم، لهم أفكارهم لهم اجتهاداتهـم، حديثـي لا مع هؤلاء في الفضائيات مـع الكلمات التي تطرح هنا وهناك، أنّ مدرسـة أهل البيت، أنّ الشـيعة الإمامية، أنّ أتباع علي وأولاد علي، أصـول مدرسـتهم مأخوذة من المجوس، مأخوذة مـن اليهود، هؤلاء لا يعتقـدون بأي صحابي ..، وهذا وغيره من مثله كلام فارغ، لا أصل علمي له، وإنما هي اتهامات وتشويشـات تطلق مـن هذه الفضائيـة أو تلك، من هذا القائل أو ذاك، ومن هنا وهناك.

إذن الغرض الأول من هذه الأبحاث هو بيان حقيقة مدرسة أهل البيت عليهم السلام

وقد يقول لنا قائل: إنه يوجد من أعلام المسلمين من يقول هذا الكلام عن شيعة أهل البيت عليهم السلام وعن مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام .. نعم يقولونها بكلمات نابية وبكلمات أساساً تجافي المنطق القرآني، لا صلة لها بالمنطق، وبالمنهج القرآني، وبالأسلوب القرآني.

وأذكر شاهدين أو مثالين. والله لم يكن قصدي أن أطرح مثل هذه المسائل، ولكن الطرف الآخر عندما يضطرك بكلماته حين يرى في كتبنا بعض الكلمات التي لا تنسجم مع مذاقه؛ فأضطر لأبين له أنّ كتبكم أيضاً مملوءة بما يجافي الحقيقة وبما يخالف الحقيقة.

والشاهدان هما:

الشاهد الأول:

كتاب (منهاج السنّة في نقض كلام الشيعة والقدرية) لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة (٧٢٨هـ)؛ هذا الكتاب وضع حواشيه عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٠هـ)، في مقدمة هذا الكتاب، يبين لماذا ألّف هذا الكتاب، يقول: «أما بعد، فإنه أحضر إليّ طائفة من أهل السنّة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا منفقاً لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية».

ومراده من الإمامية يعني الإمامية الاثني عشرية، الآن بعد أن يذكر هذا يشير إلى ذلك: «فلما ألحوا في طلب الرد لهذا الضلال المبين».

يا أخي هذا ليس منطقاً هذا ليس أسلوباً، عالم من علماء مدرسة أخرى اتجاه آخر يتفق معك في كثير من المشتركات، من أين أنت عرفت أنك على الحق المبين، ومنطق القرآن يقول: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فأي منطق هذا؟ وقد قلنا:

فمع أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يشك في أنه على الحق، ولكن لا يبرز هذه الحقيقة أمام خصمه.

وهو يذكر السبب في تأليف هذا الكتاب ينتهي إلى أنّ مقصوده من هذا الكتاب كتاب (منهاج الكرامة) لابن المطهر الحلي المعروف بالعلاّمة الحلي الذي هو معاصر لابن تيمية، فعبارته في الصفحة: ٨ من هذا الكتاب يقول: فصل: «وهذا المصنف سمى كتابه منهاج الكرامة في معرفة الإمامة وهو خليق بأن يسمى منهاج الندامة».

فقط أريد بيان الأسلوب الحواري الذي يقوم عليه هذا الكتاب، ما هو أسلوبه، وما هو منطقه في التعامل مع الآخر؟ الأولى وخليق به أن يسمى منهاج الندامة، كما أن من ادعى الطهارة، مقصوده من الطهارة باعتباره أنه ابن المطهر الحلي هذه تسميته، ولكن انظروا تعليق ابن تيمية على هذا الاسم:

«كما أنّ من ادعى الطهارة وهو من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، بل من أهل الجبت والطاغوت والنفاق!». ويقول: «كان وصفه بالنجاسة والتكدير أولى من وصفه بالتطهير».

أهذا هو الأسلوب القرآني، والقرآن يقول:

ـ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

ـ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾؟!

أهذا هو أسلوب القرآن القائل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؟

أهذا منطق عالم يعرف أدب الإسلام، يعرف منطق الإسلام، يعرف خلق الإسلام؟! أتجد هذا في كلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عندما يريد أن يخاطب الآخر؟!

وقال: «ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادة أولياء الله بعد النبيين».

هل العلاّمة الحلي كان عنده غل؟

نعم عنده غل لبعض الناس في عقيدتك أنهم من الأولياء، وفي عقيدته أنه ليس من الأولياء، هذه القضية قضية نسبية، لا يحق أن تفرض رأيك في المقدمة على العلاّمة الحلي.

وباعتبار أنــه يتكلم على الرافضة الإمامية، يقول: «ولهذا كان بينهم وبين اليهــود من المشــابهة واتبــاع الهوى وغــير ذلك من أخلاق اليهود، وبينهم وبين النصارى من المشــابهة في الغلو والجهل واتباع الهــوى وغير ذلك من أخلاق النصارى ما أشبه به هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجــه، ومازال الناس يصفونهــم بذلك، إنهــم هؤلاء أتباع اليهود».

فحتى على منطق الآخر الذي يعتقد أنّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام عشرة في المئــة وإن كان هذا كلاماً عارياً عن الصحة، فأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يتجاوزون عشــرين إلى ثلاثين في المئة، الآن لا علاقــة لي بالعــدد لا أريد أن أدخل في بحث الأعداد، جيد جداً عشرة في المئة، عشرة في المئة من مليار ونصف يعني كم؟ يعــني مئة وخمســين مليون مســلم، أهكــذا يتعامل معهــم بهذا المنطق؟ ولو كان هناك شخص واحد لا ينبغــي أن يُتحدث عنه هكذا. فكيف بهذا العدد؟!

والتفتــوا جيداً إلى مــا يقول حين ينقل كلام الشعبي ويؤيده؛ قال الشعبي: احذركــم أهــل هذه الأهــواء المضلة وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبــة ولا رهبــة، ولكن مقتــاً لأهل الإســلام وبغياً عليهم. ثم يبدأ ببيان مشابهات اليهود ومشابهات النصارى مع مدرســة أهل البيــت عليهم السلام، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالــت الرافضة: لا تصلح الإمامة الا في ولد علي.

في آل داود حق قرآني، هذا شــيء غريب عجيب!!.

«وقالت النصارى: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال».

نحن الآن شبهنا باليهود والنصارى،

و قــد يتبــادر إلى الذهــن أنّ هؤلاء مثــل هؤلاء فيقــول: «وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين».

على جماعة تشــهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رســول الله، والإسلام يدور مدار الشــهادتين. أهذا منطق إسلامي بينكم وبين الله، ينفي إسلاميتنا ويخرجنا عن الدين؟ فإذا وجد في بعض كلمات علمائنا ما لا ينســجم مع مذاق الآخر، فأيضاً الآخر عنده كلمات لا تنســجم أصلاً.

الشاهد الآخر:

أما في الجزء الرابع من كتاب منهاج الســنّة في صفحــة (٣١٩) وقبل ذلك ينقل هذا الحديث المتواتر بين الفريقين والمتفق عليه بين جميع علماء المسلمين حتى هو لا يســتطيع أن ينكره، يقول: وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة أنّ النبي قال: «**لا يزال هــذا الأمر عزيزاً**

إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»، ولفظ البخاري إلى اثني عشر أميراً، وفي لفظ لا يزال أمر الناس ماضياً، ولهم اثنا عشر رجلاً، وفي لفظ «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**».

جيد من هم هؤلاء الخلفاء في نظر ابن تيمية؟ بودي أن يُلتفت بدقة إلى هذه القضية. هذا الحديث المتواتر عن النبي الأكرمﷺ والمتفق عليه بعد وروده في الصحيحين، أصح كتب عندهم بعد كتاب الله، يقول: «وهكذا كان، فكان الخلفاء أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، هذه أربعة، ثم تولى من اجتمع الناس عليه، وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد».

إذن يزيد اجتمع الناس عليه! الذي قتل ريحانة رسول اللهﷺ وقام بتلك المجزرة, وأباح المدينة لجنده ثلاثة أيام.. «ثم عبد الملك وأولاده الأربعة» أصحاب الفسوق والفجور.

الوليد الذي يستفتح بالقرآن فتخرج له الآية: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فيرمي القرآن بسهامه! ويقول:

تهددني بجبار عنيد
فها أنا ذا جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقني الوليد

«ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز» هؤلاء صاروا اثني عشر، وهؤلاء هم الاثنا عشر بنظر ابن تيمية.

ثم يبدأ بمدح بني أمية: «فإنّ بني أمية تولوا على جميع أرض الإسلام وكانت دولة.. وأعظم ما نقمه الناس على بني أمية شيئان أحدهم تكلمهم في عليعليه السلام».

ما يجرأ أن يقول سبهم في علي يقول تكلمهم. أي منطق إسلامي؟! سلّمنا مع الطرف الآخر، أليس عليعليه السلام هو خليفة من الخلفاء الأربعة الراشدين؟! وأنتم تروون بأنّ هؤلاء أصحابه: «**من سب أصحابي فقد سبني**».

سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله بسبّ علي عليه السلام وبسبّ من هو باتفاق المسلمين نزلت فيه آية التطهير، لم يطهر القرآن أحداً من أصحاب رسول الله باتفاق جميع المفسرين، نعم هناك خلاف في هذه الآية أنها تشمل نساء النبي أو لا تشمل ولا يضر بعلي عليه السلام، علي عليه السلام هو وحده هو المشمول بآية التطهير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هو وحده المشمول بحديث الثقلين المتفق عليه بين علماء المسلمين، وهو الوحيد داخل في الآل، أللهم صل على محمد وآل محمد، لا رجل غيره.

والغريب يقول هذه فقط مشكلة ليست شيئاً كل ما في الأمر تكلمهم؛ مع أنه تعلمون أنهم لم يتكلموا في علي عليه السلام وإنما سبو علياً لقد سبوا علياً سبعين سنة على المنابر.

ثم يضيف ابن تيمية شيخ الإسلام في كتاب منهاج السنّة النبوية يقول: «وهؤلاء الاثنا عشر خليفة هم المذكورون في التوراة» يعتقد بهذا، وأنا أستغرب هو من جهة يقبل أن هؤلاء الاثني عشر مذكورون في التوراة، ويجعل المشابهة معهم في هذه القضية نقصاً ومذمة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهي نقطة قوة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ثم هو يحتج بالتوراة، شيء غريب واقعاً، تناقض عجيب على أي الأحوال؛ يقول: وهؤلاء الاثنا عشر خليفة هم المذكورون في التوراة حيث قال في بشارته بإسماعيل، أو عندما بشر بإسماعيل، وسيلد اثني عشر عظيماً.

إذن يعتقد شيخ الإسلام أنّ العظماء الذين بشرت بهم التوراة سيولدون من إسماعيل، وليس الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة من هؤلاء العظماء، وإنما العظماء هم معاوية ويزيد!! العظماء الذين بشرت بهم التوراة أنهم سيولدون من إسماعيل عبد الملك بن مروان وأولاده !!

إسماعيل يفدي الكعبة يذبح لها، ويزيد يهدم الكعبة فهو العظيم! هذا العظيم الذي بشر الله به في التوراة!!

هــذا منطق المنهــاج في صفحة(٣٢٠)؛ هــذا الذي يوجــد في تــراث بعض أعلام المســلمين، فلندفن هذا التراث لا نأتي به على الفضائيات.. اطمئنوا كل طرف يســتطيع أن يخــرج ما عند الطرف الآخر، هــذا المنطق لا تجعلوه يأتي إلى الفضائيات، لا تكشــفوا عن هذه الأمور، لأنّه لو كشفت كونوا على ثقة، فإنّ كثيراً من الناس ســوف يفقد الثقة بكل التراث، حتى من الإســلام ينفر.. هذا منطق شــيخ الإسلام! هذا منطــق كتابه الــذي ملئــت مكتباتنا بمئــات الآلاف من نســخه، توزع في كل أنحاء العالم، يقــول: «وهؤلاء الاثنا عشــر خليفة هم المذكورون في التوراة حيث قال في بشــارته بإسماعيل وسيلد اثني عشر عظيماً» قد يقول قائل: ليس مقصوده أنه إخراج للحسن والحسين؛ هو يصرح حتى أنــت لاتتوهم «ومن ظن أنّ هؤلاء الاثني عشــر هم الذين تعتقــد الرافضة بإمامتهم فهو في غاية الجهل»؛ إذن لا يشمل الحسن، لا يشمل الحسين، لايشمل زين العابدين وإمام الساجدين، لا يشمل الباقر، لا يشمل الصادق، لا يشــمل الكاظم، لا يشمل الرضا...عليهم السلام هؤلاء كلهم ليسوا الذين بشــرت بهم التوراة، الذي بشرت به هــو الوليد بن عبد الملــك، بمن يمزق المصحف وبمن يهدم الكعبة.. بشــرت بمن ولى الحجــاج وفعل ما فعل، يكفي سوءة الحكم الأموي هو الحجاج!!

ثم يعرّف هؤلاء من هم؟ أئمة أهل البيت عليهم السلام يعني من الإمام علي بن أبي طالب وانتهاء بالإمام الحادي عشر؛ لأن الثاني عشر هو لا يعتقد به، يقول: «فإنّ هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلا علي بن أبي طالب»؛ التفت جيداً، إذن علي بن أبي طالب قد يكون داخلاً في هؤلاء الاثني عشــر ومع ذلك يشكك يقول: «ومع هذا فلم يتمكن في خلافته مــن غزو الكفــار، إذن أين هؤلاء من بني أمية، ولا فتح مدينة ولا قتل كافراً، بل كان المســلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعض حتى طمــع فيهم الكفار

بالشرق والشـــام من المشركين وأهل الكتـــاب حتى يقال إنهم أخذوا بعض بلاد المســـلمين»؛ يعني بعبارة أخرى في زمن علـــي كان زمن عزة أو زمن ذلة؟ ذلة كما هو يرى. إذن يكون مشـــمولاً لحديث الاثني عشـــر أو غير مشمول؟ فهو ليس من العظماء وعليه أن يدخل شخصاً آخر مكان علي عليه السلام.

ثم هو بمجرد أن يأتي ذكر الشـــيعة ومدرســـة أهل البيت عليهم السلام يقول: «وهم أذل فـــرق الأمة، فليس في أهل الأهواء أذل من الرافضة ولا أكتم لقوله منهم، ولا أكثر اســـتعمالاً للنفاق منهم، وهم على زعمهم شـــيعة الاثني عشر، وهم في غاية الذل، فأي عز للإسلام بهؤلاء الاثني عشـــر على زعمهم، بعد، وكثير من اليهود إذا أســـلم يتشيع؛ لأنّه رأى في التوراة ذكر الاثني عشـــر؛ هذا ليس ذنب الشيعة هذا بالتوراة!».

والله شـــيء غريـــب، ولذا يشـــكر الله في محل آخر، يشـــكر الله أنّ الحكم عندما خرج مـــن الأمويين لم يصل إلى الهاشميين، يقول: «ثـــم كان من نعم الله ورحمته بالإسلام أنّ الدولة لما انتقلت إلى بني هاشـــم، صارت في بني العباس، لا في أولاد علـــي» في الصفحة (٣٢٠) من الجـــزء الرابع؛ ثم يقـــول: فليفعل بنـــو العباس ما يفعلـــون؛ لأنهم أولاد رسول الله».

ثم آخر المطاف إلى هنا لم يشـــكك في علي بشـــكل مباشـــر، ذكره ولكنه بشـــكل ضمني، ولكن في آخر المطاف بعـــد لا يســـتطيع أن يصبر في صفحة (٣٢٢) هكذا يقـــول: «والمقصود هاهنا أنّ الحديث الذي فيه ذكر الاثني عشـــر خليفة، ســـواء قدّر أنّ علياً دخل فيه أو قدّر أنه لم يدخل».

المهم فقط في آخـــر المطاف إذن ردّ القضية الآن ضمن الموازين هل يدخل أو لايدخـــل، أما بالنســـبة إلى يزيد لا إشـــكال أنه في العظماء الذين بشـــر بهـــم القرآن، الإشـــكال فقط في علي وأولاد علي وفرعه بني الهاشم، لابد أن يكونوا عباســـيين، ولا يكونوا علويين،

سواء قدّر أن علياً دخل فيهم أو قدّر أنه لم يدخل.

الهدف الأول أن أكشف هذه الحقيقة لمن هو من أي جهة كان ومن أي مدرسة، ومن أي مذهب كان . . فما من تهمة، وما من تسفيه، وما من تكفير، وما من طعن، إلا وذكروه، حتى لم تبق سيئة ولم يبق سبّ ولم يبق شتم إلا ارتكبوه بالنسبة إلى أتباع أهل البيت عليهم السلام، هذا هو الهدف الأول.

الهدف الثاني، المشتركات:

الذي أريده من هذه الأبحاث هو أن نركز على النقاط المشتركة بين المدرستين، فهناك كثير من نقاط الاشتراك موجودة بين المدرستين، وقد ذكر الصحيحان روايات هي محل اتفاق بين المدرستين.

فبعد حديث الاثني عشر: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر، الأمراء من بعدي».

تعالوا إلى حديث الثقلين، وأحاديث المهدي و الأطروحة المهدوية، وحديث الغدير، وحديث المنزلة، هذه الأحاديث لا أقول آيات حتى لايقال لنا: هذه الآيات غير مختصة بهم، أتكلم عن الأحاديث المتفق عليها بين المدرستين، الآن فلنجلس في حواراتنا العلمية في المؤتمرات التي تحصل تحت عنوان التقريب، أو التوحيد أو أي عنوان، العلماء يجلسون حتى يقربوا وجهات النظر فيما بينهم، نتكلم ونقول رأينا في هذا الحديث كذا، وأنتم قولوا رأيكم بشكل علمي بلا تكفير، بلا شتم، بلاسبّ.

وفي الواقع نحن نعتقد بأنّ شرذمة قليلة منطقهم هذا الذي نجده عند ابن تيمية، وإلا في الأعم الأغلب المسلمون يحبون مدرسة أهل البيت عليهم السلام يحبون أتباعها، لهم علاقات طيبة معهم، وإن اختلفوا عقائدياً، فما المحذور أن نختلف عقائدياً، ونوجد علاقات اجتماعية، علاقات دينية، علاقات أخلاقية. فأقلياتنا المسلمة تعيش في الدول الغربية، يعيشون في الصين، ويعيشون

في أوروبا وأمريكا، وعلاقاتهم طيبة مع من يعيشون معهم، هناك وفاق معهم، وهذا ما نعتقده، ولكن مع الأسف الشديد أنّ بعض الفضائيات تحاول أن توجد هذا الحاجز العقائدي والفكري بين المسلمين.

وقد نجد من يقول: إنّ ابن تيمية قد يعتقد أنّ شيعة أهل البيت والرافضة ليسوا من أتباع مدرسة أهل البيت.

لو سلّمنا وافترضنا جدلاً أنه لا يعتقد أنّ شيعة أهل البيت هم رافضة، وهم ليسوا من أتباع أهل البيت عليهم السلام فهل أسلوبه ومنهجه هو الأسلوب القرآني الذي لابد أن يتعامل معهم به، فيصفهم بأنهم أذل فرق الإسلام، وأنهم لم يدخلوا الإسلام رهبةً ولا رغبةً، وإنما لتهديم أهل الإسلام.. هذا هو المنطق؟ كلامي في المنهج، كلامي في الأسلوب، في المنطق الذي اتبعه، وفي العقيدة التي يعتقدها أنه يرى أن كلاً من معاوية ويزيد من العظماء، الذين بشر بهم إسماعيل وبشرت بهم التوراة، إلا أنّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة باتفاق علماء المسلمين، ليسوا من العظماء الذين بشر بهم إسماعيل، وعلي بن أبي طالب الذي هو من الخلفاء الراشدين حتى على مبنى مدرسة الصحابة فإنه أيضاً سواء قدر أنه دخل أو لم يدخل في هؤلاء العظماء باعتبار أنّ عصره لم يكن عصر عزة بل كان عصر ذلة وتفرق المسلمين!! إذن كلامي في منهجه، وليس كلامي نحن نمثل أهل البيت، ونحن عندنا السنّة الصحيحة، أو أنها موجودة عند مدرسة الصحابة. هذا الكلام يأتي حين أتحدث عن محورين أساسيين، أشير إليهما:

المحور الأول: دور الصحابة في فهم المعارف الدينية وأخذ السنّة النبوية.

المحور الثاني: دور العترة ومن هم عدل القرآن في حديث الثقلين في فهم المعارف الدينية وأخذ السنّة؛

وسيتضح بعد ذلك الأمر، أنّ الحق معنا أو الحق مع الآخرين.

إذن فهدفي الأول هــو بيان حقائق وأركان مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

والهدف الثاني: وهو أن نبحث عن النصوص والأحاديث المتفق عليها بين المدرستين.

وإذا التزمنــا بهذا المنهــج وبهذا الطريق، فكثير من القضايا، لا أقول إننا سوف نتفق فيها، ولكن سوف يقترب بعضنا من البعض الآخر، فهم عندهم روايــات في أصح كتــاب عندهم بعد كتاب الله هم أحــرار أن يقبلوها أو لا يقبلوها، ونحن أيضاً عندنا كتب كالكافي وغير الكافي هم أحرار أن يوافقونا في هــذه النصــوص أو لا يوافقونا، ونحن أحرار في أن نتفــق معهم فيما ينقلونه في صحاحهم ومســانيدهم أو لا نتفق، ولكنه عندما تأتــي رواية، تقريباً متفق عليها مجمع عليها متواترة بين المدرستين بعد لسنا أحراراً في أن نقبل أو نرفض، بعد لســنا نحن في حل منهــا أبداً، «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

هذا مضافاً إلى أنها متواترة، وليست فقط قضية إجماعيــة متفق عليها حتى يقول قائل: من قال إنّ الإجماع حجة في المســائل العقائدية؟! الإجماع إن ثبتت حجيته فهو حجة في المســائل العملية والفرعيــة والفقهيــة، أمــا المســائل العقائدية وخصوصاً المســائل المرتبطة بأركان العقائــد، لا مجال فيها للإجماع. أقــول الحق معــك ونحن أيضــاً هذا منهجنا، وإذا كانت الرواية متواترة بين المدرســتين، فبطبيعة الحال لسنا في حل أن نقبل أو أن نرفض.

وهدفي هــو إبــراز هــذه النقاط المشــتركة، هذه المحاور المشــتركة بين المدرستين.

وكم له من مصداق ونظير في كتب ومصادر ومسانيد وصحاح المدرستين، على سبيل المثال:

حديث الثقلين: اتفقت كلمة علماء المسلمين بمختلف اتجاهاتهم من مؤرخين ومحدثين وأصحاب صحاح ومسانيد وغير ذلك، أنّ النص هو كتاب الله وعترتي أهل بيتي، نعم شذ بعض منهم وقال وسنتي، وهذا سأتوفر عليه لاحقاً.

حديث المنزلة: من الأحاديث التي لم يناقش في سندها حتى من ناقش في المسلّمات والمتواترات في أحاديث المدرستين، وهذه نقطة أساسية، فالشيخ ابن تيمية في حديث الغدير قد يوجد عنده في السند كلام، مع أنه لا مجال للتشكيك في سند حديث الغدير، ولكنه عندما يصل إلى حديث المنزلة «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**» لايستطيع أن يشكك في هذا الحديث.

حديث الاثني عشر: يقول ابن تيمية بضرس قاطع: إنه ورد في صحيح البخاري حديث الاثني عشر، سواء أكان بلسان أمراء أو أئمة أو خلفاء، هذا لا يؤثر على البحث شيئاً.

أحد تلامذتنا الفضلاء الشيخ قيصر التميمي، له رسالة قيمة في حديث الخلفاء الاثني عشر في كتب أهل السنّة فهي رسالة مفيدة جداً، هناك يقول أخرج البخاري وأحمد والبيهقي وغيرهم بسندهم عن جابر بن سمرة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله، «**يكون اثنا عشر أميراً**». قال البغوي في شرحه: هذا حديث متفق على صحته.

وحديث الغدير الذي هو أيضاً من المتفق عليه.

مسألة الإمام المهدي أو مسألة المهدي لا أقول الإمام المهدي حتى لا يقول لنا قائل: إنه لم يقل كل علماء المسلمين بالإمامة للمهدي، نقول جيد مسألة الرجل الذي سيخرج في آخر الزمان، هذا متفق متواتر لا خلاف في صحته بين المسلمين.

إذن كل همي من هذه الأبحاث هو

إبراز العناصر المشتركة بين المدرستين، نعم، فليكن لكل من المدرستين قراءته الخاصة به، ولا أقول لابد أن يوافقني في القراءة التي أقدمها عن النص، أو أوافقه في القراءة التي يقدمها عن النص، أقدم قراءتي وهو يقدم قراءته، والأمر لمنصفي المسلمين من مختلف طبقاتهم أن يقبلوا بهذه القراءة والتفسير، أو يقبلوا بتلك القراءة والتفسير.. الحوار بين الحضارات المختلفة في أسسها وقواعدها قائم، فما بالك بأبناء الإسلام وبأبناء القرآن وبأمة محمد صلى الله عليه وآله المتفقة كلمتهم على الكعبة وعلى القرآن وعلى النبوة وعلى التوحيد . . فلتعقد مثل هذه الندوات، ولكنه بشرطها وشروطها، لا يكون الغرض من هذه الندوات إضعاف الآخر، تحقير الآخر، تسفيه الآخر، إتهام الآخر، وإنما الغرض إيجاد نقاط الاشتراك بينهم. وهو ما أريده من المنهج الذي أطرحه، وهو منهج يحاول أن يجد نقاط الاتفاق بين المدرستين.

أما نقاط الافتراق فلكل مدرسة رأيها الخاص، لكم ما عندكم ولنا ما عندنا، لا أن نضع يدنا على نقاط الافتراق الموجدة للحاجز النفسي والفكري والثقافي. إذن فرق كبير بين منهج يدعو إلى الفتنة، إلى الافتراق، إلى إيجاد هذا الحاجز النفسي، وبين منهج يدعو إلى التغيير، إلى المودة، إلى البحث عن النقاط المشتركة. وسيجد القارئ هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما نطرحه عن العقيدة الإسلامية، وسنتوفر على جملة من هذه النقاط، نقاط الاشتراك بين المدرستين.

وحتى اختيارنا لعنوان مدرسة أهل العترة وأهل البيت عليهم السلام، ونصف الآخرين بأنهم مدرسة الصحابة، لا يعني أننا نحتكر هذا العنوان لأنفسنا، وكأن الآخرين بعيدون عن العترة، أو يوحي بعدائنا للصحابة، لا ليس الأمر كذلك نحن لا نعادي في الأعم الأغلب الصحابة، الصحابة الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، الصحابة الذين وقفوا

مع رسول الله صلى الله عليه وآله، الصحابة الذين تحملوا ما تحملوه في بدر، وأحد، وحنين . .، إلى غير ذلك.

بعض الكلمات التي تصدر من هنا وهناك، وكأنها تجير الصحابة لجهة معينة ولمدرسة معينة، ليس الأمر عندنا كذلك. نحن عندنا وجهة نظر في بعض الصحابة، صدر منهم كذا نحن لا نتفق مع هؤلاء، كما أنه أنتم عندكم وجهة نظر تقولون: إنّ بعض الصحابة صدر منهم كذا، و حتى بين الصحابة أنفسهم كان هناك اختلاف. بل اختلافات كثيرة بينهم حتى بين أولئك الذين تولوا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا الثالث عثمان الذي تولى الأمر بعد رسول الله من قام عليه؟ الذين قاموا عليه أكانوا من الهند وباكستان والسند، أم كانوا من الصحابة؟ كلهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعوا حديثه.. وخالفوه، وخالفوا صحابياً آخر.

أما لماذا نقول: نحن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نحن مدرسة العترة عليهم السلام، نحن أتباع العترة عليهم السلام؟ ومع الأسف الشديد وجدت في الآونة الأخيرة أنّ كثيراً من المحاولات تحاول أن توجد تشكيكاً في هذا الانتساب للشيعة إلى مدرسة أهل البيت وإلى أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، وفي جملة واحدة، نحن إنما نسمي أنفسنا أتباع أهل البيت ونصطلح على الأخوة الآخرين أنهم مدرسة الصحابة، لسبب واضح وبسيط، وهو أننا نعتقد أنّ الدين لكي نفهمه بشكل عام قرآناً وسنّةً، فطريقنا لذلك يمر من خلال علي وأولاده، يمر من خلال العترة، من خلال أهل البيت عليهم السلام، من خلال بياناتهم. السنّة النبوية طريقنا إليها يمر من خلال أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا لا يعني أننا لا نقبل السنّة إذا جاءت من غير أهل البيت، نقبلهاإذا توفرت هناك شروط الصحة التي عندنا، فلو نقل صحابي السنة ضمن الطرق التي نعتمدها، والسند الذي نعتمده في علم الرجال، نقبل منه ذلك، ولذا عندنا من أنواع

الحديث وأصناف الحديث: الحديث الموثق بحسب الاصطلاح، وهو الحديث الذي صاحبه ليس إمامياً، ليس معتقداً بمدرسة أهل البيت، ولكنه شخص صادق ثقة نقبل حديثه، وأريد هنا أن أشير إلى نكتة مركزية، تميزنا عن الآخرين أيضاً، وهي إذا تعارض عندنا ما صح عن أهل البيت وما ذكر، مع ما صح عن صحابة آخرين وما ذكر، فيقدم عندنا ما صح عن أهل البيت عليهم السلام، هذا هو المائز الأساسي.

أما عند الآخرين، فإنهم إما يفضلون الآخرين على أهل البيت عليهم السلام كما يصرحون بذلك: أنّ الأول والثاني والثالث أفضل من علي عليه السلام أفضل منه علماً وعملاً وشجاعةً وخدمةً إلى آخره، وإما يساوون بين الثلاثة وبين علي عليه السلام، نعم جملة منهم يفضلون علياً عليه السلام على الآخرين.

فعلي عليه السلام بالنسبة إليهم يساوي الآخرين، أو أنه أقل منهم.. أما نحن فنعتقد أنه إذا وقع التعارض فالمقدم علي عليه السلام.

وبعض المعتزلة يقولون بإمامة المفضول؛ ومنهم ابن أبي الحديد، هذا الذي يتهمونه هنا وهناك بأنه شيعيٌّ، أي منهج أعرج وأي طريقة عرجاء إذا وجدتم أنّ أحداً يتكلم عن فضيلة من فضائل علي عليه السلام تتهمونه بأنه شيعي، مع أنه هو يصرح في أول مقدمة كتابه شرح نهج البلاغة: «اتفق شيوخنا كافة، المتقدمون منهم والمتأخرون، والبصريون والبغداديون، على أنّ بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية، وأنها لم تكن عن نص...»!

وبالأخير حاول بعض المحدثين أن يرجعوها إلى قضية النص؛ لأنهم وجدوا ليس من المنطق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يترك الأمة بلا راع وبلا وال وبلا مسؤول، وأنّ الأول حرصه على الأمة يكون أكثر من رسول الله صلى الله عليه وآله بدليل أنه عهد، أو لا أقل أشار إلى شخص؛ ولذا هم بدأوا يستحدثون لنا نظرية جديدة وهي نظرية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نص على أبي

بكر أو أشار على فلان.

ثم يقول: «واختلفوا في التفضيل، فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبيد، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، و... أن أبا بكر أفضل من علي عليه السلام؛ وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة».

نعم ابن أبي الحديد وجملة معه يقول:

«وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام ـ يعني تفضيل علي عليه أفضل الصلاة والسلام على الأول والثاني والثالث ـ وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل، وهل المراد به الأكثر ثواباً أو الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة، وبينا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً».[٢٨]

وبعضهم قال بالتساوي، أما المنهج العام فهو تفضيل الأول والثاني والثالث على الإمام علي عليه السلام؛ ولذا بطبيعة الحال أسميهم مدرسة الصحابة.

وقد يقول بعض: صحيح هم قالوا بالأفضلية نظرياً، ولكن من الناحية العملية ساووا بين الصحابة ولم يغمطوا ولم يبخسوا حق أحد من الصحابة ومنهم علي، «بأيهم اقتديتم اهتديتم».

ولكن الواقع ليس كذلك، وأذكر شاهداً عملياً من الناحية الحديثية يثبت أنهم لم يعتنوا بعلي فضلاً عن اعتنائهم بأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، مع أن حديث الثقلين يقول: «...**لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**». خالفوا نص حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ويكفي أن آخذ شاهداً واحداً من الناحية التاريخية، أقف عند صحيح البخاري وباتفاق كلمتهم أنه أصح كتاب بعد كتاب الله، وهم أحرار أن يجعلوه أصح كتاب بعد كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، بل أن يجعلوه أصح حتى من كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هم أحرار في

أن يقولوا ما يشاؤون، ولكنه لا يلزمنا بشـــيء؛ لأنّه لا نعتقد أنّ هذا الكتاب أصـــح كتاب، كمـــا هـــم لا يعتقدون بمصادرنا، ولا يقبلـــون بصحتها، ولذا أنا ركزت في البحث الأول أنه لابد أن نجد النقاط المشتركة بين المدرستين.

أنظـــروا إلى هـــذا الكتـــاب الذي يعد أصح كتاب بعـــد كتاب الله، نقل عـــن كثيرين ومن الذيـــن نقل عنهم أبـــو هريرة، الآن مـــا أريد أن أدخل في شخصية أبي هريرة، وأنه من هو، ومتى أسلم، وما هي سنخ أحاديثه، وماذا قال، وماذا كان ميله؟ كان مع الأمويين، كان مع علـــي، كان مع الصحابة، كان ينقل عـــن كعب الأحبـــار، كان لا ينقل عن اليهـــود أو ينقل، هذه أخبـــار مفصلة عرض لها جملـــة من الأعلام، ولكن لا يعنيني هذا الآن.

في صحيـــح البخـــاري في كتـــاب النفقات، الباب الثانـــي باب وجوب النفقة علـــى الأهل والعيـــال، جاءت الروايـــة: حدثنا أبوصـــالح، قال: حدثنا أبوهريرة، قال: قـــال النبيﷺ: «**أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد الســـفلى، وابـــدأ بمن تعول**». هـــذا النص ينقله عن رســـول اللهﷺ ثم توجد إضافة في النص منقطعة عن الحديث، ولكنها إضافـــة، تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني؛ ويقول العبـــد: أطعمني واســـتعملني، ويقول الابن: أطعمـــني إلى من تدعني، فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله؟ هذه التتمة، قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة.

إذن البخاري ينقل نصاً أنّ أباهريرة كان يدعي أنّ له كيســـاً، يستخرج منه أحاديـــث أو نصوصـــاً لا أريـــد أقول أحاديث، الآن أنا لست بصدد أنّ هذه القراءة أو التفسير الذي تقدمه مدرسة الصحابة لهذا النـــص ما هو؟ الآن لا أدخل فيه؛ ولكن هذا الإنســـان الذي فيه هذا الكلام يعتمد عليه البخاري.

وينقـــل محمود أبو ريـــة من علماء مصر في (أضواء على السنّة المحمدية)

المطبوع في دار المعارف في مصر، الطبعة الثالثة، صفحة (٢٠١) نصاً عن رشيد رضا، مقرر كتاب (تفسير المنار) لمحمد عبده الذي هو من العلماء الكبار، يقول أبورية: وقال الفقيه المحدث السيد رشيد رضا (رحمه الله) في ذلك: «لو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة، لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة».

لأنّه كان يمنعه، و كان يعرف من أين ينقل أبو هريرة هذه الأحاديث.

وله كلام آخر ينقله في صفحة (٢٠٣)من الكتاب نفسه، عن ابن قتيبة أنه قال في تأويل مختلف الحديث: «إنه لما أتى أبو هريرة من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله مَن صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين، اتهموه وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومَن سمعه معك؟ وكانت عائشة رضي الله عنها أشدهم إنكاراً عليه؛ لتطاول الأيام بها وبه».

ويقول محمود أبو رية في كتابه أضواء، صفحة(٢٠٠): «أجمع رجال الحديث على أنّ أبا هريرة كان أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله، على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاماً وتسعة أشهر».

ويقول في صفحة(٢٠٠): «وقد ذكر أبو محمد بن حزم أنّ مسند بقي بن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧٤ روى البخاري منها ٤٤٦».

نعم أبو هريرة يدعي أنه صاحب رسول الله ﷺ ثلاث سنوات.

سواء قبلنا ثلاث سنوات، أو قلنا بما يقوله أبو رية سنة وتسعة أشهر؛ ولا أقول معروف بالوضع، الله يعلم، لا أقول هذا الكلام، ولكن أقول هذا الإنسان المختلف في شأنه، البخاري يعتمد عليه، الآن لا أجيب لماذا أنّ البخاري يعتمده؟ ولكن نحن الذين توجد عندنا رؤية خاصة عن أبي هريرة، هل نستطيع أن نعتمد على البخاري أو لا نستطيع؟ من حقنا أن نقول: إننا لا نستوثق ما يقوله في البخاري، نعم هم يثقون به، هم أحرار، ولكن لا يمكن أن يقولوا نحن ننقل أحاديث من أصح

كتـــاب، نعم عندكم هـــو أصح كتاب، ولكن نحن توجد عندنا مشكلة.

وأضيف نقطتـــين أو ثلاثاً، محمود أبو رية في صفحة (٢٢٤)من كتابه هذا، وبعد أن يذكـــر أنّ أبا هريرة روى عن رســـول اللهﷺ ٥٣٧٤ ، روى البخـــاري منهـــا ٤٤٦ على حين أنـــه لم يصاحب النـــبيﷺ إلا عامـــاً وبضعة أشـــهر، يقـــول: «وبقي أن تعرف مقدار ما رواه الذين سبقوه بالإيمان، وكانوا أدنى منه إلى رســـول الله، وأعلم بالدين، وأبعد في الفضـــل والجهـــاد مـــن المهاجرين والأنصار وغيرهم، وقضوا مع الرسول ســـنين طويلة؛ لنرى كم روى كبارهم من أحاديث رسول الله».

يقـــول أنـــت بهذا الميزان ســـوف تشـــخص بأنّ هذا الرجل عندما نقل أكثر من خمســـة آلاف روايـــة، وهؤلاء لم ينقلوا إلا هـــذه الروايات، ألا يترك هذا الكلام عن أبي هريرة الشك فيما يرويه؟

ثم يقول أبورية: فهذا أبوبكر أول الرجال إســـلاماً بعد علي ـ كما يعتقد أبورية ـ وشيخ الصحابة جميعاً، وقضى مـــع النبيﷺ ما قضى بمكـــة والمدينة، وكان نســـابة العـــرب، تـــرى كم من حديث رواه؟

قـــال النـــووي في تهذيبـــه: «روى الصديـــق عن النبي (١٤٢) حديثاً، أورد السيوطي منها في تاريخ الخلفاء (١٠٤) حديثاً، وله في البخاري (٢٢) حديثاً».

(١٤٢)حديثـــاً وذلك خمســـة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً، أنظر الفاصلة أكثر من ٣٧ ضعفاً، واقعاً أمر لا يصدق.

فهل كان الصديق لا يسمع حديث رســـول الله طوال هذه المدة قبل إسلام أبي هريرة أو بعد إسلامه؟!

ما رواه عمر، يقول أبورية: «أســـلم ســـنة ســـت، وظل مع النـــبيﷺ إلى آخر حياتـــه ومن قوله: كنـــت وجاراً من الأنصـــار، نتناوب النـــزول على رســـول الله، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي

وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وبرغم ذلك كله، لم يصح عنه إلا حوالى خمسين حديثاً كما أثبت ذلك ابن حزم».

خمسون حديثاً، فتكون النسبة إلى (٥٣٧٤) أكثر بكثير من مائة ضعف، شيء لا يصدقه الإنسان، ومع ذلك يريد جماعة، تريد مدرسة، يريد اتجاه أن يقول: هذا أصح كتاب بعد كتاب الله، هو حر أن يقول، ولكن لا يلزم الآخرين بما يعتقد.

ما رواه علي عليه السلام:

يقول أبورية: أول من أسلم، وتربى في حجر النبي، وعاش تحت كنفه من قبل البعثة، وظل معه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر، وهو ابن عمه، وزوج ابنته فاطمة الزهراء، شهد المشاهد كلها سوى تبوك، فقد استخلفه النبي فيها على المدينة، فقال: «**يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟**

فقال رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»؟

ثم واصل أبو رية كلامه قائلاً: «هذا الإمام الـذي لا يكاد يضارعه أحد من الصحابة جميعاً في العلم، قد أسـندوا له كما روى السيوطي ٥٨ حديثاً، وقال ابن حـزم: لم يصح منها إلا خمسـون حديثاً، لم يرو البخاري ومسلم منها إلا نحواً من عشرين حديثاً».

ثم هـم ينقلون: أعلمكـم علي، أقضاكم علـي، وقد أسـندوا له هذا العدد مـن الروايـات في مقابل أكثر من خمسـة آلاف رواها أبو هريرة، أي مائـة ضعف ينقـص أو يزيد قليلاً مما رواه علي عليه السلام، وبإقـرار أبي هريرة أنه لم يعاصر الرسـول إلاّ ثلاث سنوات. أنظـروا البخـاري أو غـير البخاري بإقراره المهم هذا.

فكيـف يمكن أن نقـول: إنّ هؤلاء سـاووا بين الصحابـة في النقل؟! مع أنه من الناحيـة الواقعية ومن الناحية التاريخيـة أنّ علياً عليه السلام هـو الصحابي الوحيد الذي ذكـره الله في القرآن أنه مطهـر، داخـل في آية التطهـير، هذا لم يختلف فيه أحـد، نعم الاختلاف في أنّ نسـاء النبي داخلات في أهل البيت الذين ذكرتهـم الآية أو غير داخلات. ولكنـه فيما يتعلـق بعلي عليه السلام أنه من أهـل البيت عليهم السلام باتفـاق كلمة علماء المسـلمين، وهـو أيضاً عـدل القرآن الكريم بنص حديث الثقلين:

«إني تـارك فيكم ما إن تمسـكتم كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وإذا بالبخاري وهوأصح كتاب بعد كتاب الله كما يقولون، ينقل عنه عشرين رواية، فيما ينقل عن أبي هريرة (٤٤٦) رواية يعني أكثر من عشرين ضعفاً.

ويقول أبورية: «أما عثمان فقد روى البخاري له تسعة أحاديث ومسلم خمسة؛ الزبـير بن العـوام، روى له البخاري تسـعة أحاديث ومسلم حديث؛ طلحة بن عبيد الله روى لـه البخاري أربعة أحاديث؛ عبد الرحمن بن عوف روى له البخاري تسعة أحاديث.

هؤلاء من العشـرة المبشرة بالجنة،

هــؤلاء أقــرب الناس صحابــة ـ كما يعتقدون ـ من رسول الله صلى الله عليه وآله.

أُبي بن كعب له في الكتب الستة ســتون حديثاً ونيف؛ زيــد بن ثابت روى لــه البخــاري ثمانيــة أحاديث؛ واتفق الشــيخان على خمسة؛ سلمان الفارسي أخرج له البخاري ٤ أحاديث ومســلم ثلاثة...، وقد ثبــت أن كثيراً من الصحابة لم يرووا عن النبي شــيئاً ...» علماً أن رواة البخاري ومســلم قد بلغوا (٢٤٠٠) راو.

وفيما يتعلق برجال الصحاح بودّي أن أهل التتبع والمطالعة يقرؤون كتاب (الإفصاح عــن أحوال رواة الصحاح) للشيخ محمد حسن المظفر المتوفى سنة (١٣٧٥هـ) من الهجرة في حدود خمس وخمســين ســنة مضت، وهو في أربعة مجلــدات، تحقيــق مؤسســة آل البيت لإحياء التراث؛ هــذا الرجل حاول أن يســتقرئ كل رواة الصحاح الموجودة؛ ليتعرف الإنســان على الرجال الذين اعتمد عليهم، أكانوا على ما ينبغي أم لم يكونوا؛ وأيضاً كتاب قيّم آخر أنصح بمطالعته (تأملات في الصحيحين دراسة وتحليل لصحيحي البخاري ومســلم) تأليف محمد صادق نجمي، والذي عربه السيد حسن مرتضى القزويني.

إذا جئنــا إلى أولاد الإمام علي عليه السلام ابتداءً بالحســن والحســين والسجاد والباقــر والصــادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعســكري عليهم السلام، أما الثلاثــة الأواخر يعني الجــواد والهادي والعســكري عليهم السلام كانــوا معاصريــن للبخاري، فلم ينقل عنهم رواية واحدة، ولم ينقــل عــن الرضــا عليه السلام، ولا عن الكاظم عليه السلام، نقل عــن بعض تلامذة الإمــام الصادق عليه السلام، ولكن لم ينقل ولا روايــة واحدة عنه، وهــو أبو المذاهب وأستاذ الجميع.

هذا وأن البخاري عاش بعد الإمام الصادق بمائة عام تقريباً بعد (٢٥٦هـ) وشــهادة الإمام الصــادق عليه السلام (١٤٦هـ أو ١٤٨هـ) فالفاصلــة تقريباً قرن من الزمان، ومع أنه عاش في الحجاز ست

سنوات، وهي مركز لما نشر من علوم الإمام الصادق عليه السلام، ولكن لم ينقل عنه رواية واحدة.

يقول المؤلف محمد صادق نجمي: إنّ البخاري ومسلماً يرويان لستة وعشرين شخصاً يحملون اسم الحسن، ليس بينهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن المجتبى عليه السلام، ولثلاثة وعشرين يحملون اسم موسى، ولكن ليس بينهم الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولتسعة وثلاثين يحملون اسم علي، لا تجد بينهم اسم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

هذا هو الأسلوب الذي اتبعه هؤلاء، واختم حديثي بكلام للسيد الطباطبائي قدس سره في تفسيره القيّم (الميزان) المجلد الخامس صفحة (٢٨٠) منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، يقول:

...أما الصحابة فلم ينقلوا عن علي عليه السلام شيئاً يذكر، وأما التابعون فلا يبلغ ما نقلوا عنه ـ إن أُحصي ـ مائة رواية في تمام القرآن، وأما الحسن عليه السلام فلعل المنقول عنه لم يبلغ عشراً، وأما الحسين عليه السلام فلم ينقل عنه شيء يذكر؛ وقد أنهى بعضهم الروايات الواردة في التفسير إلى سبعة عشر ألف حديث من طريق الجمهور وحده.[٢٩]

وهذه النسبة موجودة في روايات الفقه أيضاً.[٣٠]

أحب أن أشير إلى أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام وردت فيه نصوص وأدلة تطلبه وتأمرنا به؛ ولهذا لا نجد مسلماً لايحب أهل البيت عليهم السلام، وإلا من لم يصل عليهم لا صلاة له، هذه من الفرائض المسلّمة ومن ضروريات الإسلام، ولو أبغضهم ولم يودهم ولم يحبهم لخرج عن ملة الإسلام، وهذا هو الفارق الأساسي بين حب أهل البيت وبين حب الصحابة، حب الصحابة ليس الأمر كذلك؛ لأنّه لم يدل دليل قطعي على حب جميع الصحابة بهذا الشكل، أما فيما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام بنص حديث الثقلين «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن**

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

إذن أين الاختلاف؟

فإضافةً إلى حبهم، نحن نعتقد وجوب اتباعهم في فهم الدين؛ لورود الدليل الذي يثبت لنا ذلك. أما غيرهم من الصحابة غير علي عليه السلام، الخليفة الأول أبوبكر، والخليفة الثاني عمر، والخليفة الثالث عثمان، هؤلاء الذين تولوا الأمر والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .. لم يدل عندنا دليل قطعي يثبت أنه لابد أن نأخذ الدين منهم، ولو ثبت لأخذناه منهم. . ثم نحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى نصب علياً عليه السلام، لا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه، الله نصب علياً للإمامة والخلافة من بعد النبي صلى الله عليه وآله على المسلمين بلا ريب عندنا.

أما موقف الصحابة فتوجد اتجاهات وقراءات متعددة له: قراءة تقول:

إنهم اجتهدوا وتصوروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصب علياً عليه السلام.

وقراءة أخرى تقول: لا، إنّ هؤلاء كانوا يعلمون أنّ الحق مع علي عليه السلام بالخلافة، ومع ذلك غصبوا الخلافة منه.

فالخلافة بالحق والنص والنصب والجعل هي لعلي عليه السلام، هذا هو اعتقاد مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أما مدرسة الصحابة فتقول: ليس الأمر كذلك. .

فالفرق بيننا وبينهم ليست مسألة المحبة حتى نقول: إننا نشترك في المحبة، المسألة هي الإطاعة، هي الاتباع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنْكُمْ﴾ ونحن نعتقد أنّ أولي الأمر ليس له مصداق إلا علي وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

الهوامش

١. سورة الزمر: ١٨.

٢. سورة سبأ : ٢٤.

٣. سورة النحل : ١٢٥.

٤. سورة آل عمران : ١٥٩.

٥. سورة طه : ٤٤

٦. سورة النحل : ١٢٥.

٧. سورة سبأ : ٢٢ ـ ٢٤.

٨. سورة الأنعام : ١٠٨.

٩. نهج البلاغة :١١٩، الخطبة : ٨٧ ، الدكتور صبحي الصالح.

١٠. المصدر نفسه.

١١. سورة النحل : ٤٤.

١٢. سورة النحل: ٨٩ .

١٣. سورة النجم: ٣ ـ ٤.

١٤. سورة الحشر: ٧.

١٥. سورة عبس : ١٣.

١٦. انظر الموافقات ٤ : ٧٤.

١٧. انظر الموافقات ٤ : ٧٦ وقد ذكر مصادر أحاديثه.

١٨. المستصفى ١ : ١٣٥.

١٩. أسباب نزول القرآن، للواحدي :٤٥٢.

٢٠. سورة النحل : ٤٤.

٢١. سورة الحشر: ٧.

٢٢. سورة آل عمران : ٩٣.

٢٣. نهج البلاغة، الخطبة : ٨٧ .

٢٤. سورة آل عمران : ١٤٤.

٢٥. سورة التوبة : ١٠٠.

٢٦. سورة الأنفال : ٤٢.

٢٧. سورة البقرة :١١١.

٢٨. أنظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ٧ ـ ٩.

٢٩. وفي هامش هذه الصفحة: ٢٨٠ ، ذكر ذلك السيوطي في الاتقان، وذكر أنه عدد الروايات في تفسيره المسمى بترجمان القرآن وتلخيصه المسمى بالدر المنثور.

٣٠. ذكر بعض المتتبعين أنه عثر على حديثين مرويين عن الحسين عليه السلام في الروايات الفقهية؛ ولم يذكر مصدر هذا القول.